إستراتيجية النقض والبنية الحجاجية ـنقيضة الأخطل وجرير نموذجاـ

نهاد بنت أحمد عبد الله الملحم
أستاذ مساعدـ قسم اللغة العربيةـ كلية الآداب
جامعة الملك فيصل بالأحساء في المملكة العربية السعودية

(تاريخ الاستلام: 11-09-2024؛ **تاريخ القبول:** 01-12-2024)

مستخلص البحث: تطرح هذه الدراسة مقاربة حجاجية لجزء من نقيضة للشاعرين الأمويين: الأخطل (ت: نحو 90هـ) وجرير (ت: 110هـ)، في محاولة لإبراز الإستراتيجيات التي وظّفها الشاعران لطرح فكرة التفوق الشعري في عصر تعدّدت فيه التيارات السياسية والمشارب الثقافية، مع التركيز على الروابط الحجاجية، ودورها في بناء اعتبارات حجاجية مقنعة، والتعريج على القيمة الوثائقية للنص المدروس. وقد كشفت الدراسة إستراتيجية النقض، والبنية الحجاجية وفق معطيات نظرية الحجاج، مع الاستعانة بالتحليل الوصفي المستند إلى التوثيق التأريخي الذي يخدم طبيعة المدونة المدروسة وخلفياتها السياسية والاجتماعية. وخرجت الدراسة بنتيجة مفادها: أن الصراع في النقيضة ـفي عمقهـ هو صراع على ملكيّة المعنى، حيث وظّف الشاعران بتمرّس آليات المناورة الحجاجية مع التركيز على ميدان الصراع الأنطولوجي؛ حيث شكّل الحجاج قضية وجود كبرى، مع غلبة آلية الحجاج الجدلي لدى الأخطل، والحجاج السجالي لدى جرير، ممّا يؤكد وجود علاقة بين الدافع لدى الشاعرين من نظم الشعر (العطاء/ العاطفة الذاتية)، والآليات الحجاجية التي وُظّفت في النص.

كلمات مفتاحية: المداولة الحجاجية - الحجاج الأنطولوجي - الحجاج الجدلي - الحجاج السجالي - الحجاج الأيديولوجي - المحاكاة الساخرة - الروابط الحجاجية - القيمة الوثائقية.

***

The Strategy of Refutation and the Argumentative Structure: The Case of Al-Akhtal and Jarir's Poetic Dispute

Nehad bint Ahmad Abdullah Al-Mulhim
Assistant Professor-Department of Arabic Language - Faculty of Arts
King Faisal University, Al-Ahsa

(**Received:** 11-09-2024; **Accepted:** 01-12-2024)

Abstract: This study explores the argumentative dynamics within the poetic dispute between the Umayyad poets, Al-Akhtal (d. c. 90 AH) and Jarir (d. 110 AH). The research aims to highlight the strategies employed by the poets to assert their poetic superiority during a period characterized by diverse political movements and cultural influences. The focus is on the argumentative links and their role in constructing persuasive considerations, as well as examining the documentary value of the studied text. The study reveals the strategy of refutation and the argumentative structure based on the principles of the descriptive-analytical method. Additionally, it incorporates the historical method to address the nature of the studied corpus and its political and social backgrounds. The study concludes that the core of the poetic dispute revolves around the struggle for the ownership of meaning. Both poets skillfully employed argumentative maneuvering techniques, emphasizing the ontological battlefield, where argumentation became a significant existential issue. The study also finds that Al-Akhtal predominantly utilized dialectical argumentation, while Jarir relied on polemical argumentation. This suggests a correlation between the poets' motivations for composing poetry (reward versus personal sentiment) and the argumentative techniques used in the text.

Keywords: Argumentative discourse, dialectical and polemical argumentation, ontological argumentation, ideological argumentation, satirical imitation, argumentative links, documentary value.

(*) للمراسلة:
نهاد بنت أحمد عبد الله الملحم، أستاذ مساعدـ قسم اللغة العربيةـ كلية الآداب، جامعة الملك فيصل بالأحساء في المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني:
DrNehadAhmadAlMulhim@gmail.com

(*) **Corresponding Author**:
Dr. Nehad bint Ahmad Abdullah Al-Mulhim, Assistant Professor-Department of Arabic Language - Faculty of Arts. King Faisal University, Al-Ahsa
E-mail:
DrNehadAhmadAlMulhim@gmail.com

DOI: 10.12816/0062097

1 مقدّمة:

يستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني قدرة بيانية فاعلة لتحقيقه، والحجاج نظرية لغوية عقلانية، تهدف إلى إقناع المعترض لقبول رأي مّا، عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة لهذا الرأي، والنافية لما يعترضه، فتوظّف وسائل الإقناع للتأثير في المتلقي. وتتداخل الحقول المعرفية الداعمة لهذه النظرية كالفلسفة والمنطق ونظريات التواصل وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ، وغيرها من الحقول التي ترفد الأسلوب الحجاجي. وتعود جذور الحجاجية تاريخيا إلى الفيلسوف "أرسطو"، مرورا بما توارثه العرب من أصول الفن الخطابي، وليس انتهاء بهذا الإرث الفكري الضخم الذي دار حول النصوص الحجاجية.

والبرهنة هي المنطلق الإستراتيجي في بناء النص الحجاجي؛ إذ توظّف العمليات العقلية التي ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى، في تسلسل منطقي، باستخدام الاستدلال الجدلي الذي ينقل المتلقي من الأطروحة إلى نقيضها، ثم إلى نقيض النقيض... وهكذا في عمليات أخذ وردّ، أو ما يُسمّى: هدم وبناء. والخطاب الحجاجي هو قرين التدليل والاستدلال والإقناع -وهي معطيات وليدة العقل- يشارك فيه عنصران -على الأقل-: الباثّ والمتلقّي، تتأرجح طريقته بين الحوار الإقناعي المباشر، واستمالة الطرف الآخر، ويسعى طرفا الحجاج إلى إثبات أو تفنيد الموضوع محلّ الجدل.

النقائض مدوّنة شعرية طفت على سطح الحياة الاجتماعية والأدبية، وهي تقدّم لدارسها منعرجًا مهمًا في التحولات التي شهدها الشعر العربي القديم. وقد قامت أطروحة النقائض على مقوّمات عدّة؛ فحياة الحرب والقتال التي عاشها العرب في العصر الأموي -مع تسلّحهم بقدرة غير مسبوقة على المناظرات والجدال والنقاش- أفرزت غذاء غنيًّا أثقل النقائض بذكر الأيام والمعارك، كما أن للظروف السياسية ما لها من دور فاعل في رسم خارطة إستراتيجيات النقض والأخذ والردّ. فالأخطل -مثلًا- كان أثيرًا لدى الملك بن مروان (ت: 86هـ) -رغم نصرانيته-؛ لأنه كان الصنّاجة الذي يصدح بمدائح بني أمية ضد شانئيهم، وقيس وتغلب -قبيلتا جرير والأخطل- كانتا على طرفي نقيض في السياسة، فاستلّ شعراء القبيلتين سيوفهما اللسانية وخاضا معارك الهجاء والنقائض.

سيتناول هذا البحث نصا ينتمي لعائلة النقائض، محاولا الكشف عن إستراتيجيات الحجاج وآلياته، واللغة الإيحائية التي تتميز بها أطروحة النقائض، والتي يتسلّح بها كل شاعر لتدعيم قضيته وتفنيد قضية خصمه استنادا إلى أن النقائض تفاعل خطابي قائم على الادّعاء والاعتراض، موضحا الأنساق الحجاجية في هذا النص، والروابط الحجاجية، مبرزا القيمة الوثائقية للنص الحجاجي محلّ الدراسة، محاولا الإجابة عن التساؤلات: كيف يمثّل النقض موقفا من الحياة ومن الوجود ومن منزلة الإنسان فيه؟ ما موجّهات الصراع الحجاجي في نقائض الأخطل وجرير؟ وما الإشكالية التي تدعمه؟ وهل للدافع من نظم الشعر -لدى الشاعرين- علاقة بآليات المناورة الحجاجية التي وُظّفت في النص المنقوض والناقض؟

أما الدراسات السابقة التي قاربت شعر النقائض مقاربة حجاجية فهي:

- دراسة مكلي شامة: الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2008م. وهي رسالة ماجستير استعانت فيها الباحثة بمنهج تحليل الخطاب لدراسة نقيضة جرير والفرزدق (ت: 110هـ) دراسة تداولية حجاجية، حيث أبرزت العلاقة التخاطبية في النقائض، وإستراتيجيتي البناء والهدم، وتجليات العلاقة الاستدلالية: آليات الادعاء، وآليات الاعتراض، والوسائل البلاغية.
- دراسة مكلي شامة: الآليات الحجاجية في نقائض جرير والفرزدق من خلال نقيضتيهما "سم ناقع" و"إن الذي سمك السماء"، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2009م. وهو مقال يبحث في آليات الادعاء في المدونة المدروسة، وأدلته التقنية وغير التقنية، وآليات الاعتراض، وسنداته: الجوازي، والحلّي، والقطعي.
- دراسة بن عاشور فريدة: حجاجية الاستعارة في شعر النقائض جرير والفرزدق أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع46، ديسمبر، 2016م. وهو مقال سعى لمقاربة الاستعارة حجاجيا في نقائض جرير والفرزدق، وصنفها إلى استعارات الفخر، واستعارات الهجاء.
- دراسة رضا رمضان أحمد: آليات الحجاج في نقائض عمر بن لجأ التيمي دراسة تداولية، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج2، ع35، 2019م. وهو مقال وقف على القوانين التداولية التي تحكم نقائض عمر بن لجأ التيمي (ت: 105 هـ)، وكشف عن الآليات الحجاجية التي اعتمدها الشاعر في الدفاع عن نفسه وقبيلته في ست نقائض خصصت الباحثة مبحثا لكل نقيضة منها.
- دراسة عبد الحافظ عبد المنصف عبد الحافظ خليف: حجاجية الخطاب الشعري بين الفرزدق وجرير: قراءة جديدة في قصيدتين، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ع38، ج1، 2020م. وهو مقال يعنى بدراسة قصيدتين من فن النقائض بين الفرزدق وجرير في ضوء المنهج التحليلي مع بعض إجراءات المنهج الإحصائي، معتمدا على الموازنة الفنية بين القصيدتين.

- دراسة أسمهان ضو، وإيمان محدة، وهناء طويل: الروابط الحجاجية في نقائض جرير والفرزدق مقاربة تداولية، جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي، الجزائر، 2020م. وهي رسالة ماجستير تناولت فيها الباحثات الروابط اللغوية: روابط التعليل الحجاجي، روابط العطف، التراكيب الشرطية، ثم الروابط المنطقية وقوانينها: قانون النفي، والقلب، والخفض، مع تطبيقاتها وشواهدها وبيان أثرها ودورها الحجاجي.

ولعلّ أهم ما يميّز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة هو المدوّنة المدروسة؛ حيث ركزت الدراسات الحجاجية للنقائض على تلك التي دارت بين جرير ومعاصره الفرزدق، ولم تضع نقائض جرير والأخطل موضع بحث حجاجي يبرز بنيته وإستراتيجياته وروابطه.

وستعتمد الدراسة على نظرية الحجاج الذي يتناسب مع وصف تجليات الظواهر الحجاجية في النص المنقوض والناقض، وتحليل بنية المداولة الحجاجية في النصين بآلياتها وروابطها، مع الاستعانة بالتحليل الوصفي المتكّئ على الوثائق التأريخية لإبراز القيمة الوثائقية التوثيقية في المدونة المدروسة.

ولتحقيق ذلك انتظمت الدراسة في ثلاثة مباحث -بعد استعراض النصين: المنقوض والناقض- هي:

- بنية المداولة الحجاجية.
- آليات المناورة الحجاجية:
  1. الحجاج الأنطولوجي.
  2. الحجاج الجدلي.
  3. الحجاج السجالي.
  4. الحجاج الأيديولوجي.
  5. المحاكاة الساخرة.
- شعر النقائض والقيمة الوثائقية.

ثم ذُيّلت الدراسة بخاتمة تضمّنت أهم النتائج، يليها ثبت بالمصادر والمراجع.

والله وليّ التوفيق.

2 مدخل.

للخطاب الحجاجي[1] بعد تداولي متميّز، يتغيّا إذعان العقول لما يُطرح، وهو تصوّر معيّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطَيات الخاصة، ويستهدف التأثير في السامع، وهو هو معيار تحقق فاعليته[2]. وتأتي تداولية الحجاج من كونها نظرية تعالج نظرية تعالج الأفعال الكلامية المحققة لأهداف المتكلم، فاللغة لا تقتصر على بنية الجمل فحسب، بل تُستعمل لأغراض تواصلية ينشدها المتكلم، فهو خطوات يحاول بها الشاعر أو جماعته- أن يقود المستمع إلى تبنّي موقف معيّن، بالاعتماد على تمثّلات ذهنيّة، وقضايا جازمة، تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته[3]. إن النظرة التطوّرية للبلاغة الحجاجية لم تعد تفصل بين الشعر والخطابة؛ فلم يعد الإمتاع والإقناع هدفا يميّز كل فن، إذْ التقيا في نقطة الاحتمال[4]. بل إن "كل كلام حجاج بالضرورة؛ إنها نتيجة متلازمة للتلفظ في مقام معين، كل تلفظ يستهدف التأثير على المخاطب به، أي على الآخر، وتحويل نظام تفكيره. كل تلفظ يرغم الآخر ويلحّ عليه من أجل أن يعتقد ويرى ويعمل بشكل مخالف"[5].

والحجاج ظاهرة اجتماعية، تضمّ أشخاصا ينتجونه، وأشخاصا يتلقّونه بالتقبّل أو الرفض. وهو وجود فكري فعلي، يتّجه نحو الممارسة التي تتحكّم فيها مُعطيات المجابهة والمدافعة. وهو عملية تسعى إلى خلق التأثير في الآخرين. كما أنه فعل عقلي يتضمّن التبرير والتعليل، ويستخدم البرهنة لصالح الفكرة، ويتّسم بالطابع التأثيري، وتتنازعه الأفعال العقلية واللسانية[6]. يقول أبو حيان التوحيدي (ت: 414هـ): "فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه، ولهذا شقّ النحو وما أشبه النحو من المنطق"[7]. وتؤكّد النقائض حقيقة تطوّر نصّ على أفق نصّ آخر، والوعي بأهمية النص الموازي في إضفاء قيمة أدبية ومعرفية على نصّ الذات، حيث تستوعب نصوص النقائض ديناميكية حوار النصوص؛ فالنص الأول يطرح أفكاره للمساءلة ليأتي النص الآخر، ويفكّك أفكار الأول وكأنه يمتلك الحقيقة أو ينتزعها ممّن ادّعاها بداية[8].

(1) ارتبط الحجاج في أصل معناه اللغوي بالبرهان وبالخصومة والجدل. جاء في لسان العرب: "والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته. وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذه حجة". ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د-ت، 2/ 28.

(2) انظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، ط: الأولى، 2008م، ص 21.

(3) انظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، ط: الأولى، 2007م، ص 82.

(4) انظر: مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية (بحث)، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2008م، ص 5- 6.

(5) معتز حسن محمد أبو قاسم، مدخل إلى المنطق الطبيعي الحجاجي الحجاج ضرورة إنسانية (بحث)، الشبكة الأكاديمية الوطنية، تركيا، ص 64.

(6) انظر: بنعيسى أزاييط، مداخلات لسانية: مناهج ونماذج (بحث)، كلية الآداب والعلوم اللسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 2008م، ص 79- 80.

(7) أبو حيان التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت، 1970م، 2/131.

(8) انظر: عبد الفتاح يوسف، فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري للنقائض "نمط خاص من الوعي بالآخر" (بحث)، مجلة فصول، ع 62، 2003م، ص 1.

بين يدي النصّ.

2-1 النصّ المنقوض.

قال الأخطل:

بَني أُمَيَّةَ نُعماكُم مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّت فَلا مِنَّةٌ فيها وَلا كَدَرُ
أَعطاهُمُ اللَهُ جَدًّا يُنصَرونَ بِهِ ... لا جَدَّ إِلّا صَغيرٌ بَعدُ مُحتَقَرُ
لَم يَأشَروا فيهِ إِذ كانوا مَوالِيَهُ ... وَلَو يَكونُ لِقَومٍ غَيرِهِم أَشِروا
بَني أُمَيَّةَ إِنّي ناصِحٌ لَكُمُ ... فَلا يَبيتَنَّ فيكُم آمِنًا زُفَرُ
وَاِتَّخِذوهُ عَدُوًّا إِنَّ شاهِدَهُ ... وَما تَغَيَّبَ مِن أَخلاقِهِ دَعَرُ
إِنَّ الضَغينَةَ تَلقاها وَإِن قَدُمَت ... كَالعَرِّ يَكمُنُ حينًا ثُمَّ يَنتَشِرُ
بَني أُمَيَّةَ قَد ناضَلتُ دونَكُمُ ... بِناءَ قَومٍ هُمُ آوَوا وَهُم نَصَروا
حَتّى أَقَرُّوا وَهُم مِنّي عَلى مَضَضٍ ... وَالقَولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإِبَرُ
أَفحَمتُ عَنكُم بَني النَجّارِ قَد عَلِمَت ... عُليا مَعَدٍّ وَكانوا طالَما هَدَروا
وَقَيسَ عَيلانَ حَتّى أَقبَلوا رَقَصًا ... فَبايَعوكَ جِهارًا بَعدَ ما كَفَروا
ضَجّوا مِنَ الحَربِ إِذ عَضَّت غَوارِبَهُم ... وَقَيسُ عَيلانَ مِن أَخلاقِها الضَجَرُ
فَلا هَدى اللَهُ قَيسًا مِن ضَلالَتِهِم ... وَلا لَعًا لِبَني ذَكوانَ إِذ عَثَروا[1]

2-2 النصّ الناقض.

قال جرير:

قَيسٌ وَخِندِفُ أَهلُ المَجدِ قَبلَكُمُ ... لَستُم إِلَيهِم وَلا أَنتُم لَهُم خَطَرُ
موتوا مِنَ الغَيظِ غَمًّا في جَزيرَتِكُم ... لَن تَقطَعوا بَطنَ وادٍ دونَهُ مُضَرُ
إِنّي نَفَيتُكَ مِن نَجدٍ فَما لَكُمُ ... نَجدٌ وَمالَكَ مِن غَورٍ بِهِ حَجَرُ
يَحمي الَّذينَ بِبَطحاوَي مِنىً حَسَبي ... تِلكَ الوُجوهُ الَّتي يُسقى بِها المَطَرُ
أَعطوا خُزَيمَةَ وَالأَنصارَ حُكمَهُمُ ... وَاللَهُ عَزَّزَ بِالأَنصارِ مَن نَصَروا
وَما لِتَغلِبَ إِن عَدَّت مَكارِمُهُم ... نَجمٌ يُضيءُ وَلا شَمسٌ وَلا قَمَرُ
ما كانَ يَرضى رَسولُ اللَهِ دينَهُمُ ... وَالطَيِّبانِ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ
جاءَ الرَسولُ بِدينِ الحَقِّ فَاِنتَكَبوا ... وَلا يَضيرُ رَسولَ اللَهِ إِنْ كَفَروا
إِنّي رَأَيتُكُمُ وَالحَقُّ مَغضَبَةٌ ... تَخزَونَ إِن ذُكِرَ الجَحّافُ أَو زُفَرُ
قاد إِلَيكُم صُدورَ الخَيلِ مُعلِمَةً ... تَغشى الطِعانَ وَفي أَعطافِها زَوَرُ
كانَت وَقايعُ قُلنا لَن يُرَى أَبَدًا ... مِن تَغلِبٍ بَعدَها عَينٌ وَلا أَثَرُ
حَتّى سَمِعتُ بِخِنزيرٍ ضَغا جَزَعًا ... فَقُلتُ إِنّي أَرى الأَمواتَ قَد نَشَروا
هَلّا سَكَتُّم فَيُخفي بَعضَ سَوأَتِكُم ... إِذ لا تَغَيَّرُ في قَتلاكُمُ غِيَرُ
فَما مَنَعتُم غَداةَ البِشرِ نِسوَتَكُم ... وَلا صَبَرتُم لِقَيسٍ مِثلَ ما صَبَروا
أَسلَمتُمُ كُلَّ مُجتابٍ عَبايَتَهُ ... وَكُلَّ مُخضَرَةِ القُربَينِ تُبتَقَرُ
تَهجونَ قَيسًا وَقَد جَذّوا دَوابِرَكُم ... حَتّى أَعَزَّ حَصاكَ الأَوسُ وَالنَمِرُ
أَخزاكُمُ حِينَ ضَمَّ القَومُ نِسوَتَكُم ... بِالزّابِيَينِ وَعَينِ الوَردَةِ النَّهَرُ
إِنَّ الأُخَيطِلَ خِنزيرٌ أَطافَ بِهِ ... إِحدى الدَواهي الَّتي تُخشى وَتُنتَظَرُ[2]

(1) أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1992م، ص: ص 156- 159.
(2) المصدر السابق، ص173- 174.

بنية المداولة الحجاجية.

النقائض ظاهرة أدبية مميزة، مثّلت لونا من ألوان الصراع الأدبي بين الشعراء[1]، والنقض لا يُدرك بالنص المفرد؛ وإنما يُفهم من خلال عملية تكاملية يستوجب فيها النص المنقوض وجود نص ناقض يهدمه ويعيد بناءه، فالشاعر -قبل أن ينتج نصه- عليه أن يفكّك النص الآخر ويهدمه، ليحاول أن يبني على أنقاضه خطابا آخر[2]. وما سيقوم البحث بدراسته وتحليله هو جزء مقتطع من نص منقوض للأخطل، ونص ناقض لجرير، وهما -النص المنقوض والناقض- صيغا على البحر البسيط، وخُتما برويّ الراء المضمومة. وقد بُني النصان على هيكلة واحدة -مع اختلاف في عدد الأبيات- إذ بدأ النص المنقوض بثلاثة أبيات في المدح، تليها تسعة أبيات في الهجاء. أما النص الناقض فقد بدأ بخمسة أبيات في المدح، تليها ثلاثة عشر بيتا في الهجاء.

ومن الواضح الجليّ أن كفة الهجاء في النصين قد رجحتا، مع غلبة النص الناقض في الكم العددي لأبيات الهجاء؛ فوقع الهجو على المهجوّين لا يمكن إغفاله. والنقائض -بصفة عامة- في حفولها بمعاني الشنء كانت عذابا وتنكيلا وإرداءً للمهجوّ. وممّا تحسن الإشارة إليه هنا أن عددا كبيرا من الشعراء قد تعرّضوا لجرير، واجتمعوا عليه في تآلب شرس -وهو هدف للشعراء عزيز- يقول جرير حول هذا المعنى: "والله ما يهجوني الأخطل وحده، وإنه ليهجوني معه خمسون شاعرا كلهم عزيز ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتا وهذا بيتا، وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمّموها[3]، وبغضّ النظر عن مدى صحّة هذه التهمة التي ألصقها بخصمه؛ فإن جريرا كان يميل إلى الخصام والمماحكة، لكنه لا يباده الخصم بالهجاء. يقول: " أنا لا أبتدي ولكن أعتدي"[4]، وهو -إن رد على خصم- لا ينزع عمّن بدأه إلا وقد استوفى القصاص وشفى النفس.

آليات المناورة الحجاجية.

يتميز الخطاب الحجاجي بتوظيف مجموعة من الآليات والتقنيات التي تقود القول إلى غايته المرسومة: التغلب على الخصم، والتهوين من شأنه، في لوحات يعرضها الشاعر بهدف استعراض مظاهر التنكيل، وتمزيق الخصم كل ممزّق، ومقارعة شانئي الشاعر، والخفض من مكانتهم، فالنقائض تفاعل خطابي قائم على الادّعاء والاعتراض[5]. وتبلغ المحاورة الشعرية في النقائض مرتبة التحاور؛ حيث تزدوج الذات المتكلمة، وتقوم بدورين في الآن نفسه: ذات متكلمة، وأخرى مستمعة.

وقد حفل النصان بالصور المعبرة، والإيحاءات المؤثرة المستمدة من العقيدة والتاريخ، مما أكسب مداولتهما الحجاجية سلطانا رمزيا، يزيد نفحات الإيحاء احتقانا. والادّعاء شرط من شروط المناظرة الحجاجية، وهو ركيزة تستند إليها، والأطروحة محلّ الدراسة في حقيقتها تحمل غرضين مهيمنين، هما: المدح، والهجاء. وهما غرضان على طرفي نقيض، يستدعي أوّلهما وضع الذات الممدوحة في أعلى مراتب سلّم الثناء، ويستدعي الآخر وضع الذات المهجوّة في أدنى مراتب هذا السلّم؛ فمدح ذات يستلزم تهميش آخر مناوئ لهذه الذات.

الحجاج الأنطولوجي:

النقض موقف من الحياة، ومن الوجود، ومنزلة الإنسان فيه، وتتضمّن الأنطولوجيا دراسة الموجودات _أو ما يُفترض أنه موجود- من أجل الوصول المقنع للحقيقة[6]. والحجاج الأنطولوجي قضية وجود؛ فكل شاعر ينفي وجود قبيلة الآخر، وتنبثق القيمة الأنطولوجية للنقائض من مبدأ عدم التناقض الأرسطي، فالنقيضان لا يجتمعان في نفس الشيء، أي أن الشيء إما يكون أو لا يكون. وإن كان الأستاذ عبد حامد يرى أن النقائض " شعر شخصي، محوره الفرد، لا يكاد يسمو إلى الحياة في أفقها الواسع"[7]، لكن الواضح الجلي أن النقائض لم تكن موقفا شخصيا، ولم تصدر عن صوت واحد، بل تعددت أصوات المخاطِبين والمخاطَبين فيها، في تجسيد لموقف الجماعة الوجودي وفي معركة لسانية يثبت فيها الأقوى حضوره وسطوته في حياة الأدب. والأخطل يمثل لسان حالة ساسة بني أمية؛ لذا فإن قضية الوجود -عنده- ليست ذاتية محضة، بل هي منصبّة على الذات الحاكمة -مصدر العطايا والهبات-. وترتبط القيمة الأنطولوجية بإستراتيجية الهدم والبناء، حيث يتولى كل شاعر موقع المخاطب، ويحدّد الحجج المضادّة انطلاقا من الحجج المُقَدَّمة، والنتيجة المعاكسة انطلاقا من النتائج الأولى، فيتموضع الخطاب الحجاجي مقابل خطاب مضاد، فالدفاع عن أطروحة أو نتيجة يقابله دفاع عن أطروحات أو نتائج أخرى، والدخول في الجدل لا يعني -فقط- عدم الاتفاق، وإنما يعني أنَّ المجادل يمتلك حججًا مضادة[8]. والذات في نصّ النقائض لا تنظر للآخر بوصفه ندًا أو خصمًا، بل تنظر إليه بوصفه طرفا للتحاور، حيث تعيد من خلاله

(1) انظر: الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية، ص5.
(2) انظر: المرجع السابق، ص61.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرح الأستاذ: عبد أ. علي مهنا، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، 8/ 11.
(4) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: حسن السندوبي، ط: الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، 1993م، 3/ 165.
(5) انظر: الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية، ص7.
(6) الأنطولوجيا هي دراسة مفاهيم الوجود وأسسه وطبيعته وحقيقته، وتبحث في خصائص الوجود العامة. للمزيد انظر: هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة، القاهرة، 1969م، ص431.
(7) عبد حامد، أدب النقائض أو أخطر الهجائين العرب (مقال)، مجلة نقد، دار الغاوون للنشر والتوزيع، بيروت، ع44، 2011م، ص18.
(8) انظر: السابق، ص14.

اكتشاف الأنا، ولا تنفي الآخر، بل تحرص على حضوره بالقدر الذي يساعد على تنميتها وتضخيم قدراتها[1].

الأنطولوجيا هي البحث عن معنى الوجود والسعي إلى الارتقاء فيه، فلا معنى لهذا الوجود إن لم يجعله الإنسان موضع مساءلة، فوجود الشاعر يتجسّد من خلال نقضه، وهو مرتهن بمدى اقتناع الآخرين بوجاهة حججه. إن المخاطب ليس بالضرورة هو الشاعر المهجوّ؛ فقد يكون قبيلة المخاطب، وقد يكون الجهاز السياسي، وهذا يُفضي إلى إستراتيجية حجاجية تتناسل من تحديد قطبي العملية الحجاجية: المخاطَب والمخاطِب. والهجاء مشحون بمقتضى إيحائي مُضمَر، كما أن المدح يستتبع هجاء قبيلة أخرى ضمنا، وهو ما يُطلق عليه: الإستراتيجية التضامنية. وبالتالي فإن القيمة الأنطولوجية لهذه النقيضة تستدعي توظيف إستراتيجيتين خطابيتين:

1. الإستراتيجية التضامنية[2]؛ إذْ يحاول المرسِل أن يجسّد درجة علاقته بالمرسَل إليه. والمرسَل إليه لا يكمن في شخص الشاعر المنقوض، وإنما يكمن في قبيلة الناقض؛ فهو لا يفتخر بنفسه إلا وأشرك أقاربه في الفخر (متلقين غير مباشرين)، فذكرهم أتى لإشعار الأخطل بالمهانة والتحقير.
2. الإستراتيجية التوجيهية[3]؛ إذ يحاول المرسِل تجسيد سلطته على المرسَل إليه -بحكم التفاوت الاجتماعي بينهما- رغبة منه في الاستعلاء والارتفاع بمنزلته.

ينطلق الأخطل مُقبلا على مشروعه الهادف إلى المدح بقوله:

بَنِي أُمَيَّةَ نُعماكُم مُجَلِّلَةٌ تَمَّت فَلا مِنَّةٌ فيها وَلا كَدَرُ

أَعطاهُمُ اللَهُ جَدًّا يُنصَرونَ بِهِ لا جَدَّ إِلّا صَغيرٌ بَعدُ مُحتَقَرُ

لَم يَأشَروا فيهِ إِذ كانوا مَوالِيَهُ وَلَو يَكونُ لِقَومٍ غَيرِهِم أَشِروا

يتقرّب الأخطل من بني أمية، مذكّرا إياهم بالنعم التي يسبغونها غير مترافقة بأذى أو تذكير بفضل، وهو يُلمح إلى ضرورة الاستمرار في العطاء؛ كي يستمر هو بدوره في التمجيد وتدبيج المدائح والمحامد. مع التنبيه إلى انعدام المنغّصات (المنّ والأذى) باستخدام الرابط الحجاجي[4] (الفاء العاطفة) الدالّة على ملازمة العطاء لصفة الخلوّ مما قد ينغصه.

وقد مُنحوا حظا وافرا من الخير والعظمة يُنصرون به، وكل حظوظ الناس عنده مُحتقَر صغير، وكل همّة هي دونهم في القوة والغلبة، والرابط الحجاجي الدالّ على القصر (لا) المتبوع بـ (إلا) يجعل المجد لا يخرج عن إطار ممدوحيه وهم ولاة العزّ والمجد والخير، بل هم مستقرّه ومستودعه، كما يوحي بذلك الرابط الحجاجي (إذْ) التي تدل على نزول العزّ والسؤدد بباب بني أمية قصرا. ثم يأتي بالرابط الحجاجي (لو) مفترضا وجود المجد لغيرهم -وهو غير موجود كما يقرّر الأخطل-؛ فلو وُجد المجد على سبيل الافتراض لغيرهم لبطروا ومنّوا وآذوا غيرهم بالخيلاء المقيت.

وادّعاء المجد -كل المجد- لبني أمية في حقيقته ادّعاءان -حسب مجريات المقتضى الإيحائي-، هما:

1. ادّعاء جليّ ظاهر، وهو: إثبات المجد لبني أمية.
2. ادّعاء خفي ضمني، وهو: نفي المجد عن بني قيس وخِنْدِف.

وهي قضيّة وجود أنطولوجي يثيرها الأخطل، ويبادهها جرير بجوابه الحاضر:

قَيسٌ وَخِندِفُ أَهلُ المَجدِ قَبلَكُمُ لَستُم إِلَيهِم وَلا أَنتُم لَهُم خَطَرُ

فجرير التميمي أخذ يسلق مناوئيه بلسان من حديد، ويجعل المجد واقفا عن بني قيس وخندف، وينفي المجد عمّن سواهما بالرابط (لستم) و(لا). فالذين كسوا المجد والمكارم هم أبناء مضر، وهو يعرّض بالأخطل وقومه من التغلبيين الذين لا أمجاد لهم ولا مكارم، وينفي عنهم أي مفخرة، وينعتهم بالذل والهوان في قوله:

وَما لِتَغلِبَ إِن عَدَّت مَكارِمُهُم نَجمٌ يُضيءُ وَلا شَمسٌ وَلا قَمَرُ

باستخدام الرابط الحجاجي (ما) ينفي جرير أي مكرمة قد ترد إلى الذهن عن قبيلة تغلب، ويؤدّي الرابط (اللاءات المتكررة) دوره في تعميق مفهوم انتفاء أي صفة من صفات المجد لتغلب؛ فلا هم نجوم، ولا شموس، ولا حتى أقمار تستمدّ ضوءها من نجم مّا.

العلاقة بين النصين -المنقوض والناقض- هي علاقة نفي وإثبات، وعلاقة سببية بين المصادرة والنتيجة، فالذي يهجو قبيلة هو ينفي معنى وجودها، والذي يمتدح قبيلة هو يثبت وجودها بالضرورة. لقد استوعب النص الناقض النص المنقوض، وأعاد تأسيسه بتأويل جديد ومنظور مختلف. والقراءتان -رغم اختلافهما- تنهضان على فكرة الحضور بوصفها تحقيقا للذات، وفي كل قراءة تتجلّى ذات

(1) انظر: فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري للنقائض، ص3.

(2) آلية خطابية حركية سلوكية توظف ضمن المواقف التواصلية، تقوم على المواءمة والانسجام والألفة، وتهدف إلى توطيد وتثبيت علاقة مع طرف مّا، لغرض مّا. إبراهيم براهمي، الاستراتيجية التضامنية في "رواية الثلاثة" دراسة في الوظائف التداولية (بحث)، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ع7، 2013م، ص35.

(3) هي الخطاب الموجه إلى المرسل إليه؛ لحمله على القيام بفعل أو الامتناع عنه، كما في الأمر والنهي والنداء والتحذير، والحث، والإرشاد، والدعاء. انظر: محمد مدور، الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الإبراهيمي: مقاربة تداولية (بحث)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، ع2، 2020م، ص108.

(4) البلاغة وما تحمله من أدوات وروابط لغوية ومنطقية وشبه منطقية تحضر لبناء اعتبارات حجاجية إقناعية؛ فـ"من يمتلك الكلمة امتلك الحجة المعبرة عنها والقدرة على ترتيبها، وتنوع أساليب تبليغها وفهم مسائلها وكيفية ترتيبها... ويقتضي أن يقوم على عناصر ثلاث لا تقوم له قائمة بدونها، باعتباره فعلا تواصليا يربط بين طرفين، يسمى الأول: المتكلم (المخاطِب)، ويسمى الثاني: المستمع (المخاطَب)، والفعل التواصلي متمثلا في الفعل الحجاجي فعلا بلاغيا". حمر العين زهور، الحجاج: المفهوم والأسلوب (بحث)، جامعة ابن خلدون، الجزائر، 2020م، ص 14. وللمزيد حول الروابط الحجاجية ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط: الأولى، الدار البيضاء، 2006م، ص 30. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط: الأولى، تونس، 2011م، ص 47. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، ط: الأولى، لبنان، 2015م، ص 101.

متعالية، واعية بنفسها، وتتجاهل – عن وعي- ممارسات الآخر على الذات[1]. وهما -أي: الأخطل وجرير- وجهان لعملة واحدة؛ فالأنا لا تنظر لخطاب الآخر بوصفه أحاديا، بل تنظر إليه بوصفه حيزا معرفيا متسع الآفاق ومتعدد المعاني[2].

الحجاج الجدلي[3]:

يقوم الحجاج بين طرفين متكافئين، لكل منهما حجج عقلية منطقية، وبراهين دالّة على صحة الموقف، حيث يستحضر المحاجج حجج الخصم من أجل إثبات ضعفها أمام الحجج المؤيّدة[4]. يقول الأخطل:

بَني أُمَيَّةَ إِنّي ناصِحٌ لَكُمُ فَلا يَبيتَنَّ فيكُم آمِنًا زُفَرُ
وَاتَّخِذوهُ عَدُوًّا إِنَّ شاهِدَهُ وَما تَغَيَّبَ مِن أَخلاقِهِ دَعَرُ
إِنَّ الضَغينَةَ تَلقاها وَإِن قَدُمَت كَالعَرِّ يَكمُنُ حينًا ثُمَّ يَنتَشِرُ

يرتدي الأخطل في هذه الأبيات لباس الناصح الأمين، مستعينا بالرابط الحجاجي المؤكِّد (إني)؛ فما سيُقال بعده -على حدّ تعبير الشاعر- هو نصيحة صادرة من قلب محب غيور على الدولة، ومفاد نصيحته هو التحريض على زُفر الكلابي -وسيرد الحديث عنه في معرض الحديث عن القيمة الوثائقية للنص-، وهو لا يستحق العيش بسلام وأمن، بل ينبغي مناصبته العداء، ويؤكّد الأخطل حجته بالرابط الحجاجي (إنّ) مردفا إياه مفردتين متقابلتين دالتين على ثنائية الظاهر والباطن (شاهده/ ما تغيّب)، فهذا المهجوّ يحمل كل ما من شأنه إثبات سوء المخبر والمنظر الأخلاقي، وهو كله شر، والخبث يسكنه من كل جهة. هذا الرجل يحمل الضغينة والبغضاء تجاه بني أمية، وهي ضغينة غير قابلة للتغيّر أو التحوّل مهما تعاقبت عليها السنون، والرابط الحجاجي (الواو العاطفة المتبوعة بـ: إنْ) يدلّ على وضع احتمالية انتهاء مشاعر الضغينة والكراهية بفعل الزمن، لكنه يتدارك هذا الفرض الجدلي، ويُتبعه مباشرة بالرابط الحجاجي (الكاف) الدالة على التشبيه، باستخدام صورة حسية تجسّم المعنى وتقرّب المفهوم، بل إنها تعظّم الأهوال المنبعثة من ذاته الشاعرة، فتجعل معاني التحذير من شخص المهجوّ نافذة مؤثرة، فضغينة زُفر كالجرب يعمّ الجلد كامنا مختفيا في البداية، ثم ينتشر ويظهر للعيان، فلسان حاله يؤكد بيت زهير بن أبي سُلمى (ت: 609م):

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ اْمرِئٍ مِنْ خَليقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ[5].

ويكمل الأخطل جداله العقلي، مذكرا بني أمية بفضله عليهم في قوله:

بَني أُمَيَّةَ قَد ناضَلتُ دونَكُمُ بناءَ قَومٍ هُمُ آوَوا وَهُم نَصَروا
حَتّى أَقَرُّوا وَهُم مِنّي عَلى مَضَضٍ وَالقَولُ يَنفُذُ ما لا تَنفُذُ الإِبَرُ
أَفحَمتُ عَنكُم بَني النَجّارِ قَد عَلِمَت عُليا مَعَدٍّ وَكانوا طالَما هَدَروا

يذكّر الأخطل بأنه صاحب حقّ في العطاء -وهو هدفه الذي منه يصدر وإليه ينتهي-؛ إذ نافح عن بني أمية بلسانه، مؤكّدا تصدّره في ساحة القتال اللسانية بالرابط الحجاجي (قد)، فهو جادَل وهجا الأنصار -وستَرِد قصة هجائه الأنصار في معرض الحديث عن القيمة الوثائقية للنص- ونصّ الأخطل يحاكي بالاستباق نقيضة جرير، فتعبيره (هم آووا وهم نصروا) هو تعبير يعلم الأخطل أن جريرا سيورده في أبياته، فكان الردّ سابقا وحاضرا. يقول جرير:

أَعطوا خُزَيمَةَ وَالأَنصارَ حُكمَهُمُ وَاللَهُ عَزَّزَ بِالأَنصارِ مَن نَصَروا

وسلاح الأخطل اللساني نافذ، ومفعوله بيّن؛ إذْ أقرّت الأنصار بطاعة بني أمية وفضلهم، وقد دل الرابط الحجاجي (الواو) على حالة الأنصار، فهم لم يُسلموا الأمر لبني أمية من ذاتهم، إنما جاء التسليم بعد المضض والوجع الذي سبّبه لهم في أشعاره. ويُردف هذا الادّعاء بحجة منطقية مستخدما الرابط الحجاجي (الواو) و(لا النافية)، فالقول يدخل مداخل لا تجوزها الإبر، وللسان وقع على النفس عظيم، وسياط الكلام تلهب أكثر من سياط الجلّادين. وهو بمقارعاته الكلامية قد أسكت وأفحم الأنصار، وسكوت الأنصار لم يكن طبعا متأصّلا فيهم، بل فرضه عليهم بسلاطة لسانه، إذْ يدلّ الرابط الحجاجي (الواو) على أن الأنصار طالما تكلموا في بني أمية -وفي هذه العبارة إشارة تاريخية سيرد ذكرها في محلّها-. ومن الملاحظ أن الأخطل عندما يذكر الأنصار فإنه لا يذكرهم بهذه الصفة أو هذا اللقب الذي اشتهروا به، بل يُلمح لهم بقوله: (أبناء قوم هم آووا وهم نصروا)، وقوله: (بني النجار)؛ وربما كان ذلك تحرّزا من ذكرهم صراحة، وخوفا من نقمة شعراء المسلمين، وكان يزيد بن معاوية (ت: 64هـ) قد أمره أن يهجو الأنصار فقال: " على أن تؤمّنني، فقال: على أن أؤمنك، قال: فرفِّلني واكسِني وأظهر إكرامي

(1) انظر: نور الدين عبد الكبير، الخطاب السجالي مفهومه وخصائصه وعلاقته بالمعرفة (بحث)، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج6، ع1، مارس، 2023م، ص324.

(2) انظر: فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري للنقائض، ص 14.

(3) يقوم الحجاج الجدلي على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة، ويهدف للتأثير العقلي المجرّد، متّكئا على سلاح التبكيت وفرض الرأي. انظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط: الأولى، دار المعرفة، تونس، 2001م، ص 18.

(4) انظر: الحجاج: المفهوم والأسلوب، ص17. وانظر: أسعد بن سالم بن محمد المالكي، ما بين الحجاج والبرهان والاستدلال (بحث)، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، 2022م، ص67.

(5) زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1988م، ص: 111.

ففعل"[1]. وهو عندما يقول: (هم آووا وهم نصروا) يتظافر نصيا مع قصيدة عبد الله بن رواحة (ت: 8هـ) -رضي الله عنه- التي مطلعها:

إنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ تَعْرِفُهُ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنْ مَا خَانَنِي البَصَرُ[2].

فينقض قوله:

وَلَوْ سَأَلْتَ وَاسْتَنْصَرْتَ بَعْضَهُمُ فِي جُلّ أَمْرِكَ مَا آوَوا وَلَا نَصَرُوا[3].

وكأنه يريد أن يُثبت أنه وإن كان نصرانيا؛ إلا أنه مخلص في ولائه لدولة بني أمية الإسلامية. ولم يكتف الأخطل بإخضاع الأنصار لبني أمية بسلاح لسانه؛ إذْ أخضع قبيلة قيس عيلان أيضا. يقول:

وَقَيسَ عَيلانَ حَتّى أَقبَلوا رَقَصًا فَبايَعوكَ جِهارًا بَعدَ ما كَفَروا
ضَجّوا مِنَ الحَربِ إِذ عَضَّت غَوارِبَهُم وَقَيسُ عَيلانَ مِن أَخلاقِها الضَجَرُ

وقد ظلّ الأخطل يسلّط لسانه على قبيلة قيس عيلان، ثم جاء بالرابط الحجاجي (حتى) الدالّ على غايته من هذه المنافحة الكلاميّة، وهي: استسلام قيس عيلان لبني أمية، إذ جاؤوا سراعا يعلنون ولاءهم ويبايعون الخليفة الأموي؛ لأنهم ضجّوا وضجروا لمّا عضّتهم الحرب الكلامية. وقد أتى بالرابط الحجاجي (الواو) لذي يؤكّد أن الضجر هو خليقة ملازمة لقيس عيلان عند الشدائد.

الحجاج السجالي[4]:

وهو القائم على المماحكة والتهوين من قيمة الطرف الآخر باستخدام أساليب السبّ والشتم، وهو آلية استخدمها جرير بحرفية وإتقان. يقول:

موتوا مِنَ الغَيظِ غَمًّا في جَزيرَتِكُم لَن تَقطَعوا بَطنَ وادٍ دونَهُ مُضَرُ

يُمعن جرير في ازدراء الآخَر -الأخطل-، بل وازدراء قبيلته بأسرها، وهو ازدراء يفعل ما يفعل بالقبيلة المهجوّة، فيُميتها كمدا وحنقا، فالتغلبيون لن يستطيعوا الخروج من جزيرتهم؛ لأن المضريين سيعترضون طريقهم، نافيا قدرة تغلب على السير في أي واد أو طريق تقطنه مضر، باستخدام الرابط الحجاجي (لن). وهو يتظافر نصيّصا مع قوله تعالى في التنكيل بالكفار: (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) آل عمران: 119.

ويستمرّ جرير في أسلوبه التهكّمي، مخاطبا تغلب في قوله:

إِنّي رَأَيتُكُمُ وَالحَقُّ مَغضَبَةٌ تَخزَونَ إِن ذُكِرَ الجَحّافُ أَو زُفَرُ
قاد إِلَيكُم صُدورَ الخَيلِ مُعلِمَةً تَغشى الطِعانَ وَفي أَعطافِها زَوَرُ
كانَت وَقايعُ قُلنا لَن يُرَى أَبَدًا مِن تَغلِبٍ بَعدَها عَينٌ وَلا أَثَرُ

يبدأ جرير هذا المقطع السجالي بالرابط الحجاجي (إنّ)، مؤكّدا على أن ما سيُقال هو الحق لا محالة؛ فالتغلبيون يكتنفهم الخزي ومشاعر الهوان عند ذكر الجحّاف بن حُكيم السلمي (ت: نحو 90هـ) وزفر بن الحرث الكلابي (ت: ...7هـ)، في مفارقة تجمع رمز الجبن (تغلب) برموز الشجاعة (الجحّاف وزفر)، ممّا يضفي على أبياته بعدا إكسيولوجيا يسبغ معاني الفروسية والشجاعة على الجحّاف وزفر، ويجرّد قبيلة تغلب منها، ولا ضير من تذكير تغلب بماضيها المخزي إمعانا في النكاية والتنكيل بهم؛ إذْ اقتيدت إليهم الخيل المشهورة المعلّمة التي تخوض غمار الوغى بلا تخاذل أو جبن، والخيل رمز عربي أصيل، يعتدّ به جرير. ولقد أُنزلت بتغلب الأضرار الجسيمة حتى ظن الشاعر أنه لن يبقى لها أثر، ولن يصدر عنها أي صوت يفاخر أو ينافح، لكن المنافحة صدرت بالفعل، وهنا يقول جرير في الرد على صوت سمعه:

هَلّا سَكَتُّم فَيُخفي بَعضَ سَوءَتِكُم إِذ لا تَغَيَّرُ في قَتلاكُمُ غِيَرُ

يخاطب جرير قبيلة تغلب قائلا لها: كان الأجدر أن تسكتوا، ثم يستخدم الرابط الحجاجي (إذْ) الدالّ على سبب طلبه السكوت منهم؛ فشكواهم لن تُحيي من قُتل منهم، مستخدما إستراتيجية هدم لكلّ ما قاله الأخطل في النصّ المنقوض، وجرير في هذا النموذج الخطابي يقصد إبلاغ الخبر للأخطل وقومه على وجه الاستعلاء، إمعانا في إظهار قوم الأخطل بمظهر الضعف والهوان والخور والعجز، فهو يفكّك النص المنقوض ويهدمه ليبني على أنقاضه نصا آخر.

ويتّكئ جرير كثيرا -في النصّ المدروس وغيره من نصوص النقائض- على المرأة التغلبية سلاحا للحجاج السجالي، والمرأة لها خصوصيتها ووضعها المعتبر، وهي مكرّمة معزّزة عند المسلمين ولاريب، أمر الشارع باحترامها وإعطائها حقوقها وصونها عن كلّ ما يحطّ من كرامتها ومكانتها الرفيعة. كل هذه المعاني تُفهم ضمنا من خلال المقتضى الإيحائي لما ترمز إليه المرأة التغلبية، وإذا كانت المرأة مُهانة؛ فالقبيلة بأسرها تتمرّغ في وحل المهانة والذلّ والانكسار. يقول:

فَما مَنَعتُم غَداةَ البِشرِ نِسوَتَكُم وَلا صَبَرتُم لِقَيسٍ مِثلَ ما صَبَروا
أَسلَمتُمُ كُلَّ مُجتابٍ عَبايَتَهُ وَكُلَّ مُخضَرَةِ القُربَينِ تُبتَقَرُ
أَخزاكُمُ حِينَ ضَمَّ القَومُ نِسوَتَكُم بِالزّابِيَينِ وَعَينِ الوَردَةِ النَّهَرُ

يعيّر جرير بني تغلب بأنهم يلوذون بالفرار عند النزال، تاركين نساءهم وراءهم، ليس لهن من يحمي شرفهن أو يصون كرامتهن، فهن عرضة للسبي والقتل،

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، دار الفكر، دمشق، ط: الأولى، 1988م، 14/ 233.
(2) عبد الله بن رواحة، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تحقيق: وليد قصاب، دار العلوم، ط: الأولى، 1981م، ص: 159.
(3) المصدر السابق، ص: 159.
(4) شكل من أشكال التفاعل الخطابي الذي يحيل على معنى المبارزة بين خصمين، ويحدث نوعا من الصراع والخصومة في خطاب خلاف أو اختلاف. للمزيد انظر: الخطاب السجالي مفهومه وخصائصه وعلاقته بالمعرفة، ص322.

وفي الهجاء بالسبي وتعيير القبيلة بالضعف (هدم) لمفاخر الأخطل، وإثبات وافتخار بقدرة قوم جرير على حماية نسائهم وصون كرامتهن من ذل السبي والقتل (بناء). ويحمل تعبيره (مخضرّة القربين) معاني القُبح، كما يلمح إلى أكل الخنزير لدى النصارى؛ فمخرّة القربين تعني: التي أصبحت أسنانها خضراء قذرة من أكل لحم الخنزير، فحُمّلت الكلمة دلالتين منفّرتين، وأصبحت مشحونة بمعاني القبح والقذارة والبعد عن الفطرة الإسلامية الداعية للتطهر من الدنس.

الحجاج الأيديولوجي:

وهو القائم على تبنّي فكر سياسي، أو اتّجاه مذهبي، أو اعتقاد ديني[1]، ويدرس الأفكار دراسة علمية بحتة باتباع منهج علمي دقيق للوصول إلى نتيجة[2]. ومن الملاحظ أن الجانب الأيديولوجي في الأطروحتين يرتكز على منطلقين رئيسين:

النسبة للذات الإلهية.

وقر في أذهان البشر أن ما نُسب إلى الله فهو مقدّس ويستوجب الاحترام، وقد وظّف الأخطل هذا السلاح في قوله:

أَعطاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يَنْصَرونَ بِهِ لا جَدَّ إِلّا صَغيرٌ بَعدُ مُحتَقَرُ

وفي قوله:

فَلا هَدى اللَّهُ قَيسًا مِن ضَلالَتِهِم وَلا لَعًا لِبَني ذَكوانَ إِذ عَثَّروا[3]

فهو ينسب الحظ العظيم من المجد الذي يتمتّع به بنو أمية إلى الله؛ كي يثبت ادّعاءه ويقوّيه، فمصدر مجدهم سماوي إلهي، لا حيلة للبشر في دفعه أو نفيه. وكي يثبت ادّعاءه -أيضا- يستخدم أسلوب الدعاء، بادئا البيت بالرابط الحجاجي (لا) الذي ينفي الهداية عن قيس عيلان، وكأن الضلال ملازم لهم ما داموا مناوئين لبني أمية. فهو قد جعل مصطلح (الضلال) -الذي ارتبط في العقلية المسلمة بما هو ضدّ (الإسلام)- مضادا للتسليم بحكم بني أمية، في تلاعب بالآلية الأيديولوجية وإعادة صهرها وفق ما يتناسب مع مصالحه، وما يتناسب مع سيرته الذاتية التي تشير إلى نصرانيته.

أما جرير فإن النسبة للذات الإلهية تكون وفق التعبير التالي:

أَعطوا خُزَيمَةَ وَالأَنصارَ حُكمَهُمُ وَاللَّهُ عَزَّزَ بِالأَنصارِ مَن نَصَروا

فإن كان الأخطل ينسب العزة لبني أمية؛ فإن جريرا ينسبها للأنصار، مستخدما الرابط الحجاجي (الواو)، جاعلا عزة الأنصار هبة إلهية لا يماري فيها عاقل؛ فهم أنصار رسول الله e، آووه ونافحوا معه عن عقيدة الإسلام.

مفهوم الكفر لدى الطرفين.

يختلف مفهوم الكفر لدى الأخطل عنه لدى جرير، فالأخطل يعرّف بمصطلح الكفر من وجهة نظره من خلال قوله:

وَقَيسَ عَيلانَ حَتّى أَقبَلوا رَقَصًا فَبايَعوكَ جِهارًا بَعدَ ما كَفَروا

الكفر -من منظوره- هو كفر النعمة، وهو -بصورة أدقّ- يعني الخروج على بني أمية: رمز النعم والعطاء، فولاؤه لمن يعطي، والخروج عمّن يعطي عنده كفر. ويختلف هذا المفهوم بطبيعة الحال لدى جرير القائل:

ما كانَ يَرضى رَسولُ اللَّهِ دينَهُمُ وَالطَيِّبانِ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ
جاءَ الرَسولُ بِدينِ الحَقِّ فَانتَكَبوا وَلا يَضيرُ رَسولَ اللَّهِ إِنْ كَفَروا

الكفر -من منظور جرير- هو الكفر بالله تعالى، واعتناق غير الإسلام دينا، وبالمقتضى الإيحائي يُفهم هجاؤه المبطّن وتعييره الأخطل بنصرانيته التي ما فتئ يعيره بها صراحة وضمنا في أبياته[4].

المحاكاة الساخرة:

تقوم على "قلب الوظيفة، بحيث يصير الخطاب الجدي هزليا، والهزلي جديا، والمدح ذما، والذم مدحا"[5]. إن (الباروديا) هي آلية توظّف إمكانات اللغة الساخرة، ومفارقاتها، بحيث تتولّد اللحظة الهزلية من خلال التصوير الكاريكاتوري والتناضد المتزامن بين دلالة السطح والدلالة العميقة وخلق مفارقة ساخرة بين الدلالتين[6]. وقد عبّر جرير عن افتتانه بهذه الآلية في قوله: "إذا هجوت فأضحك"[7]، وعمد إلى حشد الصور المتلاحقة لإبراز ثنائيات متقابلة ائتلفت على اختلاف مجالاتها في إظهار الموازين غير المتكافئة بين الطرفين. يقول:

تَهجونَ قَيسًا وَقَد جَذَّوا دَوابِرَكُم حَتّى أَعَزَّ حَصاكَ الأَوسُ وَالنَمِرُ

يستنكر جرير على قبيلة تغلب هجاءها قبيلة قيس، ويستخدم الرابطين الحجاجيين (الواو) و(قد) تأكيدًا على معنى استئصال قبيلة قيس لقبيلة تغلب في المعارك، ثم بالرابط (حتى) الذي يُمعن في رسم الصورة الكاريكاتورية لهذه القبيلة التي تدّعي المفاخر وهي قلّة، فجعل الأوس بن تغلب والنمر بن قاسط -وهم قلّة- أكثر عددا من تغلب

(1) انظر: عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الخامسة، 1993م، ص9.
(2) انظر: أ. عموري السعيد، الأيديولوجيا/ الخطاب/ النص -نحو مقاربة مفاهيمية- (بحث)، مجلة الأثر، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، الجزائر، ع18، 2013م، ص2-3.
(3) أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1992م، ص: ص 156- 159.
(4) للمزيد انظر: عبد الله عطية الزهراني، أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل (بحث)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2007م، ص6. وانظر: خالد محمود عزام، أثر الإسلام في شعر جرير بن عطية الخطفي (بحث)، جامعة آل البيت، الأردن، 1999م، ص 111.
(5) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الثالثة، 1992م، ص121.
(6) انظر: سمير شريف استيتة، اللغة وسيكلوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: الأولى، 2002م، ص15.
(7) أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ 6، ص 151، 2013م.

بعد هزائمها الشنيعة، وقد أبرز جرير معاني السخرية من قلة عدد تغلب المستلزمة لمعاني الهزائم المتكررة التي أفنتهم عن طريق المقارنة التي عقدها بين تغلب وقبيلتين اشتهرتا بقلة العدد؛ فرجحت كفة القبيلتين، وخرجت تغلب من هذه المقارنة خالية الوفاض إلا من سخرية وهزل ولّدتهما المفارقة الساخرة في هذا البيت.

يقول جرير في صورة ساخرة أخرى:

حَتّى سَمِعتُ بِخِنزيرٍ ضَغا جَزَعًا فَقُلتُ إِنّي أَرى الأَمواتَ قَد نَشَروا

إِنَّ الأُخَيطِلَ خِنزيرٌ أَطافَ بِهِ إِحدى الدَواهي الَّتي تُخشى وَتُنتَظَرُ[1]

يستخدم جرير في هذين البيتين آلية التأليف بين الإنسان والحيوان، إذْ يسلب الأخطل كرامته، ويجرّده من إنسانيّته، وينزله المنزلة الحيوانية، فيمسخ صورته، ويجعله خنزيرا مستقبَحا. والأخطل -بصفته خنزير في نظر جرير- سيّئ المنظر والمخبر؛ ذلك أن المادة التي اشتُقّ منها هذا الاسم تدلّ في أصل معناها على الغلظة. والخنزير -علاوة على قبح شكله- معروف بجفائه ووحشيته وقذارته وبهيميته، وهو بذلك يرمز للنصارى الذين يستحلّونه طعاما ويستطيبونه مأكلا، فيضع خصمة في دركة البهيمية العجماء ناعتا إياه بالخنزير، بغلظته وقبحه وما يحفّ مفهومه من إيحاءات عقائدية سلبية. كما أن وصفه بالخنزير يشير إلى أنه ذليل لا يمكن أن يتسامى بأصله الوضيع الحقير، وجلّ ما يفعله هو أن يتفاخر بالقوم الذين يتكسّب من ورائهم.

3 شعر النقائض والقيمة الوثائقية.

أكثرَ الأخطل وجرير من ذكر الأماكن والمواضع والأعلام والأيام، وهو سلاح يصل به الشاعر إلى قهر الخصم من خلال التذكير بأماكن القتال وساحات الوغى. إذْ لم يعد المتلقي يفصل بين التخييل الشعري والتصديق التاريخي؛ فالنقائض شعر، والشعر قائم على التخييل بالدرجة الأولى، وهي تشتمل على مضامين وإحالات تاريخية حقيقية، وهنا تكمن قضية إشكالية كبرى.

لم يدع الأخطل وسيلة تصل به للتزلف للأمويين إلا تشبّث بها، إذْ هجا زفر بن الحارث في قوله:

بَني أُمَيَّةَ إِنّي ناصِحٌ لَكُمُ فَلا يَبيتَنَّ فيكُم آمِنًا زُفَرُ

وهو زُفر بن الحارث الكلابي، كبير زعماء القيسيين، وكان من أنصار معاوية بن أبي سفيان (ت: 60هـ) بصفّين، ثم كان يوم المرج مع الضحّاك بن قيس فهُزم[2]. وهو هنا يحذّر بني أمية من تقريب زفر أو الاطمئنان إليه؛ فهو ينطوي على شر مستطير وخطر عظيم.

وقد ردّ عليه جرير بقوله:

إِنّي رَأَيتُكُمُ وَالحَقُّ مَغضَبَةٌ تَخزَونَ إِن ذُكِرَ الجَحّافُ أَو زُفَرُ

فذكر خصمين شرسين للأخطل: زُفر -آنف الذكر- وهو الذي استنصره قوم جرير، فنصرهم، فقال مادحا إياه:

زُفَرُ الرَّئيسِ أَبَا الهُذَيلِ أَبَادَكُمْ فَسَبَى النِّسَاءَ وَأَحْرَزَ الأَمْوَالَا[3]

والجحّاف السلمي الذي كانت بينه وبين الأخطل مناوشات غير قليلة، إذْ يُروى أنه لما استقرّ الأمر لعبد الملك بن مروان قدم عليه الأخطل وعنده الجحاف بن حكيم السلمي، وقد كان يجيد الشعر ومن الفرسان المشهورين، فقال له عبد الملك: أتعرف هذا يا أخطل؟ قال: نعم، هذا الذي أقول فيه:

أَلَا سائِلِ الجَحّافَ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِن سُلَيْمٍ وَعَامِرِ؟

فلم يردّ الجحاف بأي شعر أمام الخليفة، وقد بيّت النيّة على الرد بحدّ السيف، وخرج مغضبا، فقال عبد الملك بن مروان للأخطل: ويحك، أغضبته وأخلق به أن يجلب عليك وعلى قومك شرّا. ثم ذهب الجحّاف لقومه من سُليم، وقصّ عليهم ما حدث من الأخطل أمام الخليفة، فأغاروا على تغلب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة. ثم قال الجحّاف يجيب الأخطل:

أَبَا مَالِكٍ هَلْ لُمتَني إِذْ حَضَضْتَني على الثَّأْرِ أَم لَامني منك لائِمي

متى تدْعُني أخرى أُجِبْكَ بِمِثْلِها وَأَنتَ امْرؤٌ بالحَقِّ لسْتَ بِقَائِمِ[4]

ولعل النص – الذي قاله الأخطل ها هنا- قد تجاوز القيمة التوثيقية للتاريخ، والتالية – بطبيعة الحال- للأحداث، إلى القيمة الصانعة للتاريخ، والممهدة للأحداث؛ إذ كان بيته -الذي أنشد- وقودًا أجّج نار فتنة خلّفت دمارا لبني تغلب[5].

وفي إشارة تاريخية أخرى يقول الأخطل:

أَفحَمتُ عَنكُم بَني النَجّارِ قَد عَلِمَت عُليا مَعَدٍّ وَكانوا طالَما هَدَروا

وَقَيسَ عَيلانَ حَتّى أَقبَلوا رَقَصًا فَبايَعوكَ جِهارًا بَعدَ ما كَفَروا

يشير الأخطل لإحدى القبائل المناوئة للدولة الأموية وهم بنو النجّار -الأنصار-، وجدّهم عديّ كان قد ضرب رجلًا فنجره فسُمّي النجار. وفي قوله: (طالما هدروا) تحريض ضدّهم وتأليب، فهو يلمح إلى حادثة تاريخية،

(1) المصدر السابق، ص173- 174.
(2) انظر: أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج 6، ص 274.
(3) جرير بن عطية الخطفي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص 362.
(4) انظر: محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ج 2، ص 539.
(5) جاء في المثل: "أفتك من الجحّاف"؛ إذ قتل من تغلب خمسمائة رجل، وتعدّى الرجال إلى قتل النساء والولدان، وقد أهدر عبد الملك بن مروان دمه، وهرب إلى الروم، وظلّ بها سبع سنين، حتى مات عبد الملك وأمنه الوليد بن عبد الملك فرجع. انظر: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 2004م، 2/ 2819.

وهي أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (ت: نحو 104هـ) كان يشبّب بابنة معاوية، فأمر يزيدُ بن معاوية (ت: 64هـ) كعبَ بن جُعيل التغلبي (ت: بعد 86هـ) بهجاء الأنصار، فرفض قائلا لزيد: أرادي أنت إلى الكفر بعد الإيمان! لا أفعل، ولكن أدلّك على غلام منّا كافر كأن لسانه لسان ثور، فدلّه على الأخطل، فهجاهم بقصيدة جاء فيها:

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالمَكَارِمِ وَالعُلَى واللؤْمُ تحْتَ عَمَائِمِ الأنْصَارِ

فغضبت الأنصار، ودخل النعمان بن بشير (ت: 65هـ) على معاوية مغضبا، ثم حسر عمامته عن رأسه وقال: يا معاوية، أترى لؤما؟ قال: ما أرى إلا الكرم. ثم قال:

مُعَاوِيُّ إلّا تُعْطِنَا الحَقَّ تَعْتَرِفْ لحَا الأَزْدِ مشْدُودًا علَيها العَمَائِمُ

أَيَشْتِمُنا عبدُ الأرَاقِمِ ضلّةً فَمَاذَا الذي تُجْدِي عليكَ الأراقِمُ

فَمَا لِيَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فدُونَكَ مَنْ تُرْضِيه عنهُ الدّرَاهِمُ

فقال له معاوية: ما خطبك؟ قال: هجانا الأخطل، فقال له: حكمك فيه، فقالت الأنصار: حكمنا قطع لسانه، فلم يزل يزيد يطلب إليهم حتى عفوا عنه، وأرضى معاوية الأنصار[1].

ويُكثر جرير من ذكر الوقائع والحروب التي هُزم فيها قوم الأخطل، ومن ذلك قوله:

أَخْزَاكُمُ حِينَ ضَمَّ القَوْمُ نِسْوَتَكُمْ بِالزَّابِيَيْنِ وَعَيْنِ الوَرْدَةِ النَّهَرُ

فيذكر يوم الزابيين، وفي معجم البلدان: يوم الزاب، بين مروان بن محمد (ت: 132هـ) وبني العباس، وقد كانت على الزاب الأعلى بين إربل والموصل[2]، وفيها انتصر القائد العباسي عبد الله بن علي بن عبد الله -عم أبي العباس السفاح- (ت: 147هـ) على مروان بن محمد، فانهارت الخلافة الأموية إثر هذه المعركة. كما يذكر موقعة عين الوردة التي دارت رحاها بين أنصار الثورة الحسينية بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي (ت: 65هـ) والجيش الأموي[3].

4 خاتمة:

- يعزف الشاعران -في المدوّنة المدروسة- على وتر ثنائية الشكّ واليقين بحديّة مكشوفة؛ حيث يتمظهر الحجاج – بدوافعه العميقة-في الصراع على ملكيّة المعنى. إن الشاعر المنقوض يريد -في الحقيقة- أن يمتلك المعنى، ثم يأتي الناقض ويهدف لامتلاك المعنى نفسه عن طريق إثبات المنفي ونفي المثبت، مما يجعل المنتَج الحجاجي كالكلام على الكلام: ما فوق الحكاية، إذْ يقتحم الشاعر حرم المخاطَب ويستخدم حجج الخصم ثم يقلبها عليه.
- الصراع في النقائض هو صراع أنطولوجي؛ فالشاعر - عندما يهجو قبيلة مّا- ينفي معنى وجودها، وعندما يمتدح قبيلة فإنه يثبت وجودها. والمتكلم في الحجاج الأنطولوجي هو مجموعة من الأصوات: الشاعر، وأفراد قبيلته.
- هيمنة فكرة التفوق لأحد الشاعرين على الآخر، وكأن التفوق قد غدا إشكالية النقائض الكبرى، في وعي خاص بالآخر، يقوم على تخيّله على نحو ضدّي، في سياق دلالي مشترك، فأثناء فعل التحاور يقتحم الشاعر أفكار الآخر، ويتوحّد معه، قارئا أفكاره، ثم ينسلخ عنه، وينسب هذه الأفكار لقبيلته: معنى وجوده. وقد أسّس نص جرير علاقة: البناء/ الهدم، عن طريق إعادة إنتاج نص الأخطل بتأويل جديد، حيث تعيد أطروحة النص الناقض تأسيس لغة النص المنقوض وإنتاج معانيه الوجودية. إن النصين -المنقوض والناقض- ينطويان على صراع بين ذات متعملقة تجاه نفسها، وضدّ هذه الذات، ولا تتحقّق هذه الذات إلا بإقصاء الآخر، مما يثري النقائض دلاليا في ضوء العلاقة بين الأنا والآخر.
- حدّد الأخطل من خلال قصيدته هويّة الممدوح، متّكئا على محامد بني أمية، وقد عبّر عن ذلك بصيغ صريحة، حيث إن البطاقة الدلالية للمخاطب لم تتوقف عند حد التعيين الإشاري، بل هي تمتلئ قولا إثر قول. ثم يأتي خطاب جرير بمثابة الرد على خطاب الأخطل الذي عندما أكثر من تدبيج المدائح والمحامد لبني أمية؛ قام جرير ممسكا بمعول الهدم بتحويل مدح خصمه هجاء يكيله للأخطل ولقبيلته.
- لوحظت غلبة آلية الحجاج الجدلي لدى الأخطل، والحجاج السجالي لدى جرير؛ وذلك مردّه إلى الدافع لدى الشاعرين من نظم الشعر، فالأخطل يهدف إلى العطاء أولا وأخيرا، وهو يمتدح بني أمية بأوامر من عقله لا قلبه، فكان أن نزع إلى صوت العقل والحجج المنطقية، أما جرير فهو يصدر عن عاطفة ذاتية، لا تهتم بتدبيج الكلام ورصفه وتأطيره ضمن الأطر المنطقية، فكان التهكم هو الملمح الأسلوبي الأكثر حضورا وبروزا بين أسطر أطروحته الحجاجية.
- أثناء تحليل المنظومة اللسانية اتّضح المحتوى القضوي للقول، حيث يتمحور حول بؤرة دلالية واحدة: أيهما أفضل من الآخر، من ناحيتين: الأولى الشجاعة والقوة، ويتعلق الأمر هاهنا بما هو جماعي (القبيلة)، والأخرى الملكة الشعرية، وهي خاصية فردية (الشاعر).
- غدت الإشارات التاريخية سلاحًا حجاجيًا يستخدمه الشاعران متى ما أرادا إلحاق الأذى بالخصم وتذكيره بهزائم قبيلته، ولحنًا مزعجًا يصمّ أذن الشاعر الخصم، ويورث بلبلة فكرية وضعضعة نفسية، في مزاوجة حاذقة بين ما هو مُتخيّل وما هو حقيقي.

(1) انظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الثالثة، 1997م، ج 1، ص 144-143.
(2) انظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، 1995م، ج 3، ص 124.
(3) المصدر السابق، ج 4، ص 180.

5 نبذة عن الباحث:

نهاد بنت أحمد عبد الله الملحم

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل بالأحساء.

بكالوريوس لغة عربية – كلية التربية للبنات بالأحساء عام 1420هـ.

ماجستير لغة عربية- أدب ونقد- جامعة الملك فيصل بالأحساء عام 1429هـ.

دكتوراه لغة العربية- أدب ونقد – جامعة الملك فيصل بالأحساء عام1439هـ.

منسقة قسم اللغة العربية.

عضوة وحدة الجودة بالقسم.

عضوة في مجلس صديقات المجلس البلدي للعام 1441هـ.

المشاركة في عدد من البرامج التابعة لأندية الحيّ في المحافظة.

عضوة مؤسسة لجمعية كيان موهبة التابعة لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية.

6 الأبحاث المنشورة:

1. مستويات الحوار في عينية أبي ذؤيب الهذلي (دراسة نفسية تحليلية) - مجلة القلزم للدراسات التربوية والنفسية واللغوية-جامعة بخت الرضا- السودان. ع: 23- 2023م-ص184:153.
2. قراءة نقدية في كتاب: "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي (ت: 322هـ) - مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق- جامعة الأزهر- ع: 13- 2023م- ص 1255: 1286.
3. الانسجام الاستعاري لبؤرتي: المرأة والشاعر في شعر بشار بن برد من منظور عرفاني (نماذج مختارة) - مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية- 30/ 11/ 2024م - العدد 6، المجلد 51.
4. استدعاء الشخصيات التاريخية في مسرح شوقي دراسة تطبيقية في مسرحية "مصرع كليوباترا" و"أميرة الأندلس" و"علي بك الكبير"- المجلة العلمية بكلية الآداب، جامعة طنطا – أكتوبر 2024م- العدد 57، المجلد 2024.

رابط الصفحة الشخصية:

https://faculty.kfu.edu.sa/ar/n.almulhim/Pages/Home.aspx

ORCID ID: https://orcid.org/0009-0009-2760-4879

7 قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم براهمي، الإستراتيجية التضامنية في "رواية الثلاثة" دراسة في الوظائف التداولية (بحث)، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ع7، 2013م.

ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، دار الفكر، دمشق، ط: الأولى، 1988م.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د-ت.

أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، ط: الأولى، الدار البيضاء، 2006م.

أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1992م.

أبو حيان التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت، 1970م.

أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرح الأستاذ: عبد. أ. علي مهنا، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 2004م.

أحمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ 6، ص 151، 2013م.

أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1981م.

أسعد بن سالم بن محمد المالكي، ما بين الحجاج والبرهان والاستدلال (بحث)، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، 2022م.

أ. عموري السعيد، الأيديولوجيا/ الخطاب/ النص -نحو مقاربة مفاهيمية- (بحث)، مجلة الأثر، جامعة عبد الرحمان ميرة بجابة، الجزائر، ع18، 2013م.

بنعيسى أزابيط، مداخلات لسانية: مناهج ونماذج (بحث)، كلية الآداب والعلوم اللسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 2008م.

الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: حسن السندوبي، ط: الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، 1993م.

جرير بن عطية الخطفي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

حمر العين زهور، الحجاج: المفهوم والأسلوب (بحث)، جامعة ابن خلدون، الجزائر، 2020م.

خالد محمود عزام، أثر الإسلام في شعر جرير بن عطية الخطفي (بحث)، جامعة آل البيت، الأردن، 1999م.

زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1988م.

سمير شريف استيتية، اللغة وسيكلوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: الأولى، 2002م.

8 References:

Ibrahim Brahmi, "The Solidarity Strategy in 'The Trilogy': A Study of Pragmatic Functionsa (in Arabic). ," Annals of the University of Guelma for Social and Human Sciences, Algeria, Vol. 7, 2013.

Ibn Manzur, Mukhtasar Tarikh Dimashq Ii-Ibn Asakira (in Arabic), edited by Ruhiya al-Nahas, Dar al-Fikr, Damascus, 1st ed., 1988.

Ibn Manzur, Lisan al-Araba (in Arabic), Dar Sader, Beirut, n.d.

Abu Bakr Al-Azzawi, Language and Argumentationa (in Arabic), Sour al-Azbkya Forums, 1st ed., Casablanca, 2006.

Abu Tammam, Nuqa'id Jarir wa al-Akhtala (in Arabic), Catholic Press, Beirut, 1992.

Abu Hayyan al-Tawhidi, Kitab al-Imta' wa al-Mu'ansaa (in Arabic), edited and revised by Ahmad Amin and Ahmad al-Zayn, Maktabet Al-Hayat, Beirut, 1970.

Abu al-Faraj al-Isfahani, Kitab al-Aghania (in Arabic), Commentary by Prof. Abdul A. Ali Mihana, 2nd ed., Dar al-Kotob al-Ilmiyah, Beirut, 1992.

Abu al-Fadl Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim al-Maidani al-Naysaburi, Majma' al-Athlam (in Arabic), edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Ma'rifa, Beirut, 2004 AD.

Ahmad ibn Abd Rabbih al-Andalusi, The Unique Necklacea (in Arabic), Edited by Dr. Mufid Muhammad Qumayhah, Dar al-Kotob al-Ilmiyah, Beirut, Vol. 6, p. 151, 2013.

Ahmad ibn Yahya al-Baladhuri, Genealogies of the Noblesa (in Arabic), Edited by Suhail Zakkar, Dar al-Fikr, Beirut, 1981.

As'ad ibn Salem ibn Muhammad al-Maliki, Between Argumentation, Proof, and Inference (Research) (in Arabic), Journal of the Faculty of Education, Mansoura University, 2022.

Prof. Amouri al-Said, Ideology/Discourse/Text - Towards a Conceptual Approach (Research) (in Arabic), Al-Athar Journal, University of Bejaia, Algeria, Vol. 18, 2013.

Ben Issa Azayit, Linguistic Interventions: Methods and Models (Research) (in Arabic), Faculty of Arts and Linguistic Sciences, Moulay Ismail University, Meknes, 2008.

Al-Jahiz, Al-Bayan wa al-Tabyina (in Arabic), Edited and Commented by Hassan al-Sindoubi, 1st ed., Dar Ihya' al-Ulum, Beirut, 1993.

Jarir ibn Atiyah al-Khatfi, Al-Diwana (in Arabic), Dar Beirut for Printing and Publishing, Beirut, 1986.

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، 1995م.

صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، ط: الأولى، 2008م.

عبد حامد، أدب النقائض أو أخطر الهجائين العرب (مقال)، مجلة نقد، دار الغاوون للنشر والتوزيع، بيروت، ع44، 2011م.

عبد الفتاح يوسف، فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري للنقائض "نمط خاص من الوعي بالآخر" (مقال)، مجلة فصول، ع 62، 2003م.

عبد الله بن رواحة، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تحقيق: وليد قصاب، دار العلوم، ط: الأولى، 1981م.

عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط: الأولى، دار المعرفة، تونس، 2001م.

عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الخامسة، 1993م.

عبد الله عطية الزهراني، أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل (بحث)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2007م.

عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط: الأولى، تونس، 2011م.

فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، ط: الأولى، 2007م.

مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، ط: الأولى، لبنان، 2015م.

محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.

محمد مدور، الاستراتيجية التوجيهية في خطاب الإبراهيمي: مقاربة تداولية (بحث)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، ع2، 2020م.

محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الثالثة، 1992م.

محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الثالثة، 1997م.

معتز حسن محمد أبو قاسم، مدخل إلى المنطق الطبيعي الحجاجي ضرورة إنسانية (بحث)، الشبكة الأكاديمية الوطنية، تركيا.

مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية (بحث)، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2008م.

نور الدين عبد الكبير، الخطاب السجالي مفهومه وخصائصه وعلاقته بالمعرفة (بحث)، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج6، ع1، مارس، 2023م.

هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة، القاهرة، 1969م.

Mohammed Suleiman Al-Tayeb, Encyclopedia of Arab Tribes: Field and Historical Studiesa (in Arabic), Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1997.

Mohammed Medouar, The Guiding Strategy in Ibrahimian Discourse: A Pragmatic Approach (Research) a (in Arabic), Ibrahimian Journal of Arts and Human Sciences, University of Bordj Bou Arreridj, Algeria, Vol. 2, 2020.

Mohammed Miftah, Poetic Discourse Analysis (Intertextuality Strategy) (in Arabic), Arab Cultural Center, Casablanca, 3rd ed., 1992.

Mohammed bin Yazid al-Mubarrad, Al-Kamil fi al-Lughah wa al-Adaba (in Arabic), edited by Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 3rd ed., 1997.

Mouatez Hassan Mohamed Abu Qasem, Introduction to Natural Logic and Argumentation: Argumentation as a Human Necessity (Research) (in Arabic), National Academic Network, Turkey.

Makli Shama, Argumentation in the Poetry of the Poetic Dispute: A Pragmatic Studya (in Arabic), University of Mouloud Mammeri of Tizi-Ouzou, Algeria, 2008.

Nour El-Din Abdelkebir, Polemical Discourse: Its Concept, Characteristics, and Relationship with Knowledge (Research) (in Arabic), El-Qauari'e Journal of Literary, Critical, and Linguistic Studies, Vol. 6, No. 1, March 2023.

Hunter Mead, Philosophy: Its Types and Problemsa (in Arabic), translated by Fouad Zakaria, Dar Al-Nahda, Cairo, 1969.

Hamar Al-Ain Zohour, Argumentation: Concept and Style (Research) (in Arabic), Ibn Khaldun University, Algeria, 2020.

Khalid Mahmoud Azam, The Influence of Islam on the Poetry of Jarir ibn Atiyah al-Khatfi (Research) (in Arabic), Al-AlBayt University, Jordan, 1999.

Zuhair ibn Abi Sulma, Al-Diwana (in Arabic), Edited and Introduced by Ali Hassan Faour, Dar al-Kotob al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1988.

Samir Sharif Estieta, Language and the Psychology of Discourse: Between Rhetoric and Satirical Drawinga (in Arabic), Arab Institute for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2002.

Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah al-Rumi al-Hamawi, Mu'jam al-Buldana (in Arabic), Dar Sader, Beirut, 2nd ed., 1995.

Saber Al-Habasha, Pragmatics and Argumentation: Approaches and Textsa (in Arabic), Safahat House for Studies and Publishing, 1st ed., 2008.

Abd al-Hamid, The Literature of the Nqa'id or the Most Notorious Arab Satirists (Article) (in Arabic), Naqd Magazine, Dar al-Ghawoun for Publishing and Distribution, Beirut, Vol. 44, 2011.

Abdel Fattah Youssef, The Effectiveness of Repetition in the Structure of Poetic Discourse in Poetic Disputes: 'A Specific Pattern of Awareness of the Other' (Research) (in Arabic), Fusul Journal, Vol. 62, 2003.

Abdullah ibn Rawaha, Diwan Abdullah ibn Rawaha and a Study of His Life and Poetrya (in Arabic), edited by Walid Kassab, Dar Al-Uloom, 1st ed., 1981.

Abdullah Saula, Argumentation in the Qur'an Through Its Most Important Stylistic Featuresa (in Arabic), 1st ed., Dar Al-Ma'arifah, Tunis, 2001.

Abdallah Al-Aroui, The Concept of Ideologya (in Arabic), Arab Cultural Center, Casablanca, 5th ed., 1993.

Abdullah Atiyah Al-Zahrani, The Influence of Islam on Jarir's Refutation of Al-Akhtal's Poetry (Research) (in Arabic), Umm Al-Qura University, Mecca, 2007.

Izz al-Din Al-Najeh, Argumentative Factors in the Arabic Languagea (in Arabic), Aladdin Library, 1st ed., Tunis, 2011.

Philip Blanchet, Pragmatics from Austin to Goffmana (in Arabic), translated by Saber Al-Habasha, Dar Al-Hiwar, Latakia, 1st ed., 2007.

Muthanna Kadhim Sadiq, The Stylistics of Pragmatic and Rhetorical Argumentation: Theory and Application to the Meccan Surahsa (in Arabic), Difaf Publishing, 1st ed., Lebanon, 2015.